# تعليم الكبار في صدر الإسلام

## إعداد


**أ. منيرة بنت مسفر الحصف**

معلمة بوزارة التعليم وباحثة دكتوراه بقسم السياسات التربوية

جامعة الملك سعود

**د. عبد الرحمن بن عبد العزيز الشعيبي**

كلية التربية – قسم السياسات التربوية

جامعة الملك سعود

**الملخص**

تهدف هذه الورقة للتعرف على أصول الحضارة الإسلامية في صدر الإسلام، نظرة الإسلام للعلم والتعليم، وأهداف التعليم في الإسلام. كما سعت للكشف عن الاحوال السياسية والاجتماعية وأثرها في نشأة وتطور تعليم الكبار، وأهم مؤسسات تعليم الكبار في عصر صدر الإسلام. اختتمت الورقة بذكر صفات معلم الكبار وأهم مميزات تعليم الكبار في صدر الإسلام.

## Abstract

This paper aims to explore the origins of Islamic civilization at the beginning of Islam ages. Also it sought to reveal the political and social conditions and their impact on the emergence and development of adult education, the most important adult education institutions, and finally the characteristics of adult teachers in this era of Islam civilization.

**المقدمة:**

إن ظاهرة الأمية بين العرب قبل ظهور الإسلام كانت واسعة الانتشار، وقد أكدت على هذا الآيات القرآنية حين أشارت بأمية الرسول وأصحابه في قوله تعالى ( فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي)، فكان العرب قبل ظهور الدين الإسلامي أمة ممزقة غير مجتمعة على كلمة واحدة، وتكاد تفنيها الحروب والنزاعات والتعصب القبلي، وكانت أمة جاهلة تسودها الخرافات وتتقاسم العقائد الفاسدة، ثم أتى الإسلام وكان لظهوره في جزيرة العرب حدوث حركة تحول اجتماعي شامل في حياة الكبار وتنظيماتهم، موقفه من التعليم بصفة عامة كان موقفاً مشجعاً، فيحث على طلب العلم بكل السبل.

إن الحضارة الإسلامية هي من الحضارات، إن لم تكن أكثرها، تأكيداً على التربية والتعليم وعلى توجيه أثرهما في تكوين الفرد والمجتمع (الحميدي، ١٤١٥)، وهذا التأكيد أتى بداية من خلال تعليم الكبار في صدر الإسلام، وذلك لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد اعتمد على الكبار في نشر دعوة الإسلام، فهم من سيصبحون دعاة ومبشرين، يغيرون وجه التاريخ وينقذون العالم من الضلالة والظلام إلى نور الإيمان، لذلك كان الأولى الاهتمام بتعليم الكبار (الغامدي، ٢٠١٨).

وعلى كل أمة تريد النهوض بحاضرها، أن تستلهم ماضيها وتستقي منه ما تراه مناسباً لتقدمها العلمي والثقافي، خاصة إذا كان هذا الماضي مشرقاً وزاخراً بالعلم والفائدة، لذلك فهو جدير بنا كمسلمين أن لا نغفل ماضي آثار نبينا صلى الله عليه وسلم وما أتى به من أسس بنيت عليها حضارة أمتنا، تلك الحضارة المجيدة التي أفادت العصر القديم والجديد معاً (عبيد، ١٩٧٩). عصر صدر الإسلام هو تلك الفترة الممتدة من بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى آخر أيام خلفاء الدولة الأموية، وقد أصبح الاهتمام بالعلم والتعلم في تلك الفترة أحد المبادئ والمسلمات

التي قامت عليها دولة الإسلام لكي يمكنها بناء شخصية الأفراد الذين تولوا مهمة نشر هذا الدين. من هنا جاءت هذه الدراسة للوقوف على أصول الحضارة الإسلامية في صدر الإسلام وأثرها في تعليم الكبار.

## الأصول الفلسفية لتعليم الكبار في الإسلام:

لقد جاء الإسلام برؤية كونية توحيدية فطرية، وبقيم ومبادئ تربوية هادفة تدعو إلى الخير والإحسان، تحيي الضمائر وتنير العقول وتبني حس المسؤولية في الإنسان، فأصبحت من أصول الإسلام الفلسفية كون الدين هو الموجه لحركة المجتمع ومنبع لكل نظمه العاملة التي منها التعليم بوسائله المختلفة. إن التعليم في الإسلام هو منهج متكامل يهتم بالجسم وبالروح وبالعقل، يشير العمايرة (٢٠٠٨) إلى أنه من أجل تكامل النظرة الإسلامية إلى الحياة والوجود والمجتمع، جمعت التربية الإسلامية بين تأديب النفس وبين تصفية الروح وبين تثقيف العقل وتقوية الجسم، فهي تهتم بالتربية الخلقية والصحية والعقلية للإنسان. ولذلك ينشأ الفرد المسلم سوياً قوى الصلة بالله، محققاً لرسالته في هذه الحياة.

## نظرة الاسلام للعلم والتعليم:

كان ظهور الإسلام بداية ثورة امتدت لتشمل جميع جوانب حياة الأفراد، وأصبح الهدف الأول للدين الإسلامي هو تربية الكبار بطريقة تخالف فيها عادات العرب الجاهلية، فجاءت أول آية في القرآن الكريم تدعو للقراءة في قوله تعالى (اقرأ باسم ربك الذي خلق). ولم يقتصر حث الدين الإسلامي المسلمين على تعلم مهارات القراءة والكتابة، بل حثهم في الكثير من آيات القرآن على التأمل والتساؤل والتفكير المنطقي (ويتفكرون في خلق السماوات والأرض). فلقد اعتبر الإسلام تعليم الكبار أمراً واجباً وحقاً من حقوق الانسان بغض النظر عن البعد الزماني والمكاني (السنبل، ١٩٨٧).

## اهداف التعليم في الإسلام:

لم يكن هدف المسلمين من التربية والتعليم دنيوياً محضاً كما كان لدى الرومان واليونان وغيرهم، ولم يكن دينياً بحتاً كما كان عند الإسرائيليين الأوائل، إنما كان غرضاً دينياً و دنيوياً معاً، وهذا ما جعل المسلمين أيام الدولة الإسلامية يقودون العالم بعلمهم وثقافتهم (عبد الدائم، ١٩٩٨).

**ولقد سعى المسلمون الأوائل لتحقيق العديد من الأهداف الفردية والاجتماعية من التعليم، ومنها:**

- بناء شخصية الانسان المؤمن بربه، وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الاخر.
- تكوين الشخصية المتمسكة بتعاليم الدين الإسلامي، والملتزمة بأوامر الله ونواهيه، والمؤدية للفرائض الله وشعائره، والمتصفة بالأخلاق الفاضلة.
- بناء الشخصية المتزنة في الدوافع والعواطف والنزعات، المستقرة نفسياً والمتكيفة مع نفسها.
- تحقيق سعادة الانسان في الدنيا والآخرة عن طريق طلب العلم والبحث عنه من أجل تعمير الأرض.
- تقوية الروابط الإسلامية بين المسلمين ودعم تضامنهم الإسلامي وخدمة قضاياهم (التل وشعراوي، ٢٠٠٧).

## قيم الحضارة الإسلامية:

تصف الغامدي (٢٠١٨) الدين الإسلامي بكونه دين له العديد من القيم التي ميزت حضارته عن غيره من الحضارات بما يلي:

**قيم إيمانية**: فالحضارة الإسلامية هي الحضارة الوحيدة التي تنبثق من عقيدة التوحيد وتعتقد بوجود إله واحد لا شريك له، الدين الإسلامي هو دين الفطرة التي بعث بها رسول الله لاستقامة الناس عليها وتخليصهم من عبودية الأهواء والشهوات.

**قيم دينية علمية:** فقد حث الإسلام على العلم، فالكثير من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية تؤكد على أهمية العلم والتعلم والتفقه في سائر العلوم التي تفيد البشرية.

**قيم أخلاقية:** فقد نمت الحضارة الإسلامية بقيمها الأخلاقية في كل جانب من الجوانب الحياة الإنسانية، فكانت حضارة أخلاقية رائدة لم يسبق لها مثيل، لأنها تعتمد في وسائل التقدم والرقي بميادين الحياة المختلفة على مبادئ الإسلام، وتستهدي بنور شريعته، والإسلام يدعو إلى المثل الأخلاقية، ويربي أبناءه عليها، ولذا كان وصف الله لرسولنا صلى الله عليه وسلم بقوله (وإنك لعلى خلق عظيم).

## الاحوال السياسية في صدر الاسلام وأثرها في تعليم الكبار:

إن للأحوال السياسية لأي حضارة تأثيراً كبيراً على تقدم هذه الحضارة وانتشار العلم فيها، فالظروف السياسية من ظروف داخلية وعلاقات خارجية، تؤثر بشكل كبير في تشكيل النظام التعليمي لهذه الحضارة والتخطيط له، في صدر الإسلام انقسمت الأحوال السياسية إلى سياسة داخلية وسياسة خارجية:

### السياسة الداخلية وأثرها في تعليم الكبار:

لقد كان العرب قبل الإسلام يعانون الجهل والتخلف بسبب الحروب والمنازعات والعصبيات القبلية التي كانت سائدة في ذلك الوقت، وهذا بدوره كان له بالغ الأثر على تخلفهم واندثار العلم بينهم، وبالتالي تدهور الأوضاع السياسية. حيث عاش العرب في تنظيمات قبلية عصبية، وخضع بعضهم إلى دولة الروم، وبعضهم إلى دولة الفرس بحكم مجاورتهم لتلك الدولتين (الحميدي، ١٤١٥). ثم جاء الإسلام وجاء محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلهم خير أمة أخرجت للناس، فتميزت السياسة الداخلية بعد دخول الإسلام بتطبيق قواعد نظام سياسي محكم كان له الأثر الكبير في نشر العلم بين الكبار، وكان من أهم هذه القواعد:

**الشورى:**

إن أساس الديمقراطية في الإسلام هو التشاور في الرأي عند اتخاذ القرار العام وعدم التفرد في السلطة في الحكم، وقد أكدت الكثير من الآيات القرآنية على مبدأ الشورى والقيادة الجماعية في الدولة والأسرة والحياة العامة. ولقد اهتم المصطفى صلى الله عليه وسلم وصحابته بأمر الشورى بينهم، فقد شاور أصحابه يوم بدر، وشاور أصحابه على وأسامة في قصة الإفك وسمع منهما حتى نزل القرآن بأمره في ذلك، ثم أتى الصحابة من بعده بتطبيق الشورى في جميع أمورهم، فكانوا إذا أشكل عليهم أمر ما عادوا للكتاب والسنة، فإن أعياهم الأمر دعوا رؤوس المسلمين وعلماءهم فاستشاروهم فإذا اجتمع رأيهم على الأمر قضوا به (آل سعود والشدي والدريس والضويحي والعيد وأبو حيمد، ٢٠١٨).

ومن هنا نستنتج أنه قد كان لأمر الشورى تأثير كبير في تعليم الكبار المسلمين، فأمر إشراك الآخرين في عملية اتخاذ وصنع القرار تولد لديهم الشعور بالثقة في قراراتهم ومكانتهم في مجتمعهم، ويوفر لهم الفرصة لتطوير أنفسهم في مجال العلوم الدينية والدنيوية لكي يعودوا لها عند المشورة، ويحسن من أداءهم ويجعلهم يشاركون باهتمام في عملية اتخاذ وتنفيذ القرارات السليمة، وهذا ينعكس ايجابياً على استزادتهم من العلم.

**المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار:**

لقد كان من منة الله على نبيه صلى الله عليه وسلم أن ألف بين قلوب المسلمين المهاجرين والانصار، وكذلك بين الأوس والخزرج، فقد سعى منذ دخوله المدينة المنورة إلى تثبيت دعائم الدولة الجديدة، فقام بالمؤاخاة بين المهاجرين والانصار، فذابت في هذه الخطوة عصبيات الجاهلية، وسقطت فوارق النسب واللون. وكان الأنصار على مستوى كبير من المسؤولية حيث واسوا إخوانهم المهاجرين وآثروهم على أنفسهم، وقد ترتب على هذه المؤاخاة التعاون المادي والرعاية والتضحية والايثار، فحملت هذه القضية بين طياتها الكثير من المعاني الطيبة في نفوس الصحابة،

خاصة في تلك المرحلة من تاريخ الدولة الإسلامية، حيث أصبح للمسلمين المستضعفين دولة إسلامية عظيمة، فأدى ذلك إلى بناء دولة قوية على أساس قوي من العقيدة والقيم الأخلاقية (هندم، ٢٠١٢).

وتشير خريط (٢٠١٤) أن الهدف الأساسي من المؤاخاة هو حل رابط العصبية القبلية التي كانت منتشرة في المجتمع الجاهلي قبل بزوغ الإسلام، فجاءت المؤاخاة لتحل الأخوة الإسلامية محل العصبية، فكونت مجتمعاً إسلامياً ذا أسس متينة، حتى تكونت حضارة عريقة لا تؤمن بالصراعات كان لها التأثير الكبير في انتشار العلم والعلماء بين الكبار.

**عقد معاهدة مع اليهود:**

لقد كان لليهود في المدينة قوة كبيرة لها أثرها على الأحوال الاقتصادية، يحتكرون الأسواق ويمتهنون أكثر المهن، كما كان لهم تأثير قوي على الأوضاع السياسية كذلك، فقد قاموا بإشعال نار الخصومة بين الأوس والخزرج وساعدوا على انتشارها في ذلك الوقت (آل سعود، ٢٠١٠). يشير الزيدي (١٩٧٩) إلى أنه بعد أن نجح الرسول صلى الله عليه وسلم في توقيع صلح الحديبية مع كبار قريش، وأصبح للمسلمين قوة سياسية لا يستهان بها، بدأ في تصفية حسابات الدولة الإسلامية مع يهود خيبر الذين كانوا لا زالوا يتآمرون ضد الإسلام في المدينة ويتحالفون مع كفار قريش ضد المسلمين، فكان لابد من القضاء على هذا المركز التآمري، وذلك لأهمية خيبر العسكرية، لذلك أصبح من الواجب توجيه كافة الجهود السياسية والعسكرية لتصفية الوجود اليهودي في خيبر وإخضاعها لسلطة الدولة الإسلامية. فقاد النبي صلى الله عليه وسلم حرباً قوية ضد اليهود انتهت بسقوط حصونها في أيدي المسلمين وفتحها وعقد معاهدة مع اليهود لم يسبق لها مثيل في ذلك الوقت.

لقد كان لهذه المعاهدة عهد جديد بالنسبة للأوضاع السياسية لدولة الإسلام وبالتالي كان لها التأثير العظيم على تعليم الكبار في ذلك الوقت، فقد قضت على الكثير من الفتن الداخلية وأنهت على جيوب اليهود في هذه المنطقة، كما امتد نفوذ المسلمين مما ساعد على سرعة نشر الاسلام وبالتالي نشر العلم بين المسلمين (اللهيبي، ٢٠١٤).

**القضاء على الفتن وإقامة الأمة الواحدة تحت لواء الإسلام:**

أورد الصغير(٢٠١٥) أنه بعد دخول الإسلام للمدينة المنورة، ظهرت فئة جديدة من الناس المرتدين والمنافقين أظهرت اسلامها علانية وأخفت كفرها سراً، فخذلوا النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه، فكانوا يكيدون للإسلام والمسلمين، ويتعاملون معهم بالمكر والخداع، ويتحالفون مع اليهود ويحدثون الفرقة والفتنة بين المسلمين لتشتيت صفهم وتفريق وحدتهم. كل ذلك كان يتعارض مع ما جاء به الإسلام من دعوة الى الانضباط والنظام والتآلف والوحدة، ومع ذلك فإن النبي صلي الله عليه وسلم لم يأمر بقتل المنافقين، بل قام هو وأصحابه بالإغلاظ عليهم ومراقبتهم، واتخاذ كافة الإجراءات التي تكفل حماية المسلمين من فتن هؤلاء المنافقين. أما المرتدين عن الإسلام ومدعي النبوة فقد تعامل معهم الإسلام بالقتل، وذلك للقضاء على الفتن والمذاهب الضالة والمنحرفة التي كان لها تأثير على سياسة الدولة الإسلامية في ذلك الوقت.

يتضح لنا مما سبق أن العمل على القضاء على الفتن أدى لتوحيد الدولة تحت لواء واحد واستقرارها سياسياً، وهذا بدوره ساعد على انتشار العلم والعلماء ومراكز العلم في صدر الإسلام.

**السياسة الخارجية في صدر الاسلام وأثرها في تعليم الكبار:**

**تكوين الجيش:**

جاء الإسلام وقام بتوحيد أفراده تحت لواء الدين الواحد، ثم حثهم على ضرورة الاعداد للقوة العسكرية كي يردوا العدوان ويدافعوا عن الدين والنفس وينشروا الإسلام في كل قطر،

فأصبح الأعداء المتقاتلون في الجاهلية جيوشاً موحدة تحت راية الإسلام، ثم قامت تلك الجيوش بنشر الدين الاسلامي داخل الجزيرة وخارجها، فأرسلوا الحملات العسكرية شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، حتى بلغت الجيوش بلاد الهند والصين والاندلس، وقامت بإسقاط أعظم إمبراطوريتين في ذلك العصر هما فارس والروم، عن طريق الفتوحات الإسلامية بقيادة أشجع القادة. ثم تكونت الخلافة الإسلامية فأصبحت ذات نفوذ سياسي شامل، وأصبح للعرب دور مهم في العالم بما نشروا من دين وعلوم ( الزيدي، ١٩٧٩).

إن تكوين الجيوش بالإضافة لهذا التوسع والانتشار جعل من الضرورة إعداد قيادات عربية إسلامية إعداداً سليماً في المجالات الدينية والثقافية والعلمية والأدبية والسياسية والعسكرية، حتى يمكنهم فهم لغات الشعوب الأخرى والتعامل معهم عن دراية وعلم، فانتشرت مراكز تعليم الجنود في الخانقات والرباطات والزوايا، والتي كانت تولي الأمور العسكرية والسياسية اهتماماً بالغاً.

**العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية في حالة السلم:**

إن تكوين المسلمين للعديد من العلاقات السلمية بغيرهم من الشعوب من شأنه أن يوسع نطاق هذه العلاقات وبالتالي يعزز الحاجة إلى استخدام الطرق السليمة في التعاملات الخارجية للدولة الإسلامية، وذلك من أجل نقل الدعوة إلى غير المسلمين وتبصيرهم بأحكام الدين من غير ضغط أو إكراه. لذلك يفترض اللجوء إلى استخدام وسائل وطرق تندرج من ابتعاث الرسل والدعاة من أجل الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، إلى الدخول في مفاوضات ومناقشات قد تنتهي بالاتفاق وابرام المعاهدات، أو العمل على تكوين تعاملات تجارية واقتصادية (أبو جبلة، ١٩٨٧).

إن هذا الدور الذي أنيط بالكبار والذي تمثل في نشر الثقافة الإسلامية، وفي توثيق معاهدات الصلح مع الأعداء، وفي المراسلات الخارجية مع الآخرين، كان يتطلب إعداد هؤلاء الكبار وتعليمهم وتثقيفهم في الجوانب العلمية والثقافية والسياسية، وتعلم اللغات الأخرى، من أجل القيام بهذه المهام والمسؤوليات على أكمل وجه (الجيلاني، ١٩٩٨).

## الاحوال الاجتماعية في صدر الاسلام وأثرها في تعليم الكبار:

العوامل الاجتماعية تؤثر بشكل كبير في النظام التعليمي من خلال الدين واللغة والتركيب الاجتماعي لهذه الحضارة. فعلى المستوى الاجتماعي كانت القبيلة هي أساس التنظيم الاجتماعي، وكان أفراد كل قبيلة يتعصبون لقبيلتهم، ثم أتى الدين الإسلامي وحرم الكثير من العادات الاجتماعية السيئة التي كانت سائدة في العصر الجاهلي، وحرم الخمر والميسر والمنافرة والمفاخرة بالأنساب، وأمر بالمساواة، كما أنه حاول قلب موازين المجتمع الجاهلي الذي كان يقيس الناس بأنسابهم، فطلب أن يُجعل أكرم الناس أتقاهم. حيث ظهر العديد من المظاهر الحياة الاجتماعية السليمة في صدر الإسلام والتي كان لها تأثير إيجابي في نشر العلم وتطوره، وكان من **أهم هذه المظاهر:**

**المساواة:**

يعد العدل والمساواة من أهم قواعد النظام الاجتماعي في الإسلام، فالمفهوم الذي أقره الإسلام هو عدم التفرقة بين الناس في الحقوق والواجبات على أساس عرقي أو قبلي، وقد حاول الإسلام بناء المجتمع على الإخاء والتضحية حيث ذكر القرآن (إنما المؤمنون اخوة). فأصبح معيار التفاضل هو التقوى، فلا فرق بين شخص وآخر في الإسلام مهما علا شأنه وارتفعت منزلته، فليس هناك محاباة لطبقة على طبقة، ولا لجنس على جنس، بل جميعهم يتساوون في التكاليف الشرعية وأحكام الشريعة، ويقفون أمام القضاء الشرعي سواء (فراج، ١٩٨٥).

يشير العطاس (٢٠١٧) إلى أن هذا المبدأ جعل تعليم الكبار متاحاً للجميع مهما كان مستواهم، فالأسياد المسلمين كانوا يحرصون على تعليم العبيد تحقيقاً لمبدأ المساواة واتاحة التعليم للجميع وتحقيق مبدأ ديمقراطية التعليم، وهو من أهم المبادئ التي تنادي بها المؤتمرات وتسعى لتحقيقها الشعوب في وقتنا الحاضر، والتي تنطلق من ضرورة توفير فرص التعليم لكل راغب فيه بغض النظر عن الظروف الاقتصادية والاجتماعية والزمانية والمكانية، فالتعليم حق لكل إنسان سواء كان كبيراً أو صغيراً، غنياً كان أو فقيراً، سيداً كان أم مملوكاً.

**رفع مكانة المرأة:**

لقد كفل الإسلام كل حقوق المرأة عما كانت عليه في الجاهلية، فقد أعطاها دورها في بناء المجتمع الإسلامي حين أنقذها من عبوديتها ومنع وأدها، وكفل لها الكرامة وحق التعليم واختيار الزوج والميراث، وكلفها ما كلف به الرجال من أمور الدين باستثناء بعض الحالات، واثنى على من أحسن إليها وأكرمها، فبذلك سبق المسلمون غيرهم من الأمم بالاهتمام بضمان حقوق المرأة وبتعليم النساء والإماء، حيث أصبح منهن من تعلم النساء وانتشرت مراكز تعليمهن في مجالات العلوم الدينية والآداب في ذلك الوقت (مهدي، ١٩٧٩). فأصبحت المرأة معلمة في بيتها، تعلم النساء القرآن وتفسيره وعلومه، وتفقههن فيما أشكل عليهن من أمور دينهن، وكانت عائشة رضي الله عنها من أعلم وأفقه النساء في ذلك العصر.

## مؤسسات تعليم الكبار في عصر صدر الإسلام:

لقد كثرت وتنوعت أماكن تعليم الكبار في الحضارة الإسلامية، إلا أنها في الفترة الأولى من الإسلام كانت محدودة ومقتصرة على أماكن معينه كالمسجد والكتاب، فلم تظهر المدارس والمكتبات ودور الحكمة بشكلها النظامي الا في العصر العباسي، وقد كان من أهم أماكن التعليم في العصر الأول للإسلام:

**المساجد:**

إن تاريخ التعليم في الإسلام ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالمسجد، فبالإضافة لكونه مكاناً يؤدي فيه المسلمون فرائضهم الدينية فهو مركز أساسي لتعليم الكبار، حيث كانت تقام حلقات الدراسة بالمساجد منذ نشأتها، وفي المسجد كان الناس يتشاورون فيما بينهم حول أمور دينهم ودنياهم وكان مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة مكاناً للدراسة، كما ضل كذلك أيام الخلفاء الراشدين والأمويين، واستمر كذلك لسنين وقرون كثيرة، والعديد من حلقات العلم بمختلف فروعه، (السفياني، ٢٠٠٩). وكان السبب في جعل المسجد المركز الثقافي الأساسي في ذلك الوقت يعود لكون المواد التي تدرس والممارسات هي دراسات دينية تشرح تعاليم الدين الجديد، وقد كان المسجد مكاناً للعبادة ومعهداً للتعليم وداراً للقضاء، وكان الفقهاء يحدثون في المسجد ويفسرون آيات القرآن ويروون الأحاديث ويشرحون النصوص للمسلمين. وكذلك الحال في مسجد البصرة ومسجد عمرو بن العاص والجامع الأزهر والمسجد الجامع بالعراق، وجامع القيروان، وباقي مساجد المسلمين في ذلك العصر، التي تطور تقديم العلوم فيها وأصبح يقام فيها حلقات لتعلم اللغة العربية لمن يريد أن يجيد علوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة، بجانب حلقات الدين. واعتمد نظام التدريس في المسجد على نظام الحلقات، حيث يقف الأستاذ ويحاضر أمام تلاميذه ويبدأ النقاش والجدل ( العلياني، ٢٠٠٩).

**الكتاتيب:**

عرفت الكتاتيب بين المسلمين منذ زمن مبكر على أنها مكان يلتقي فيه المسلمون لتعلم مبادئ القراءة والكتابة، والقرآن الكريم والأحاديث النبوية. والكتاتيب بالنسبة للمسلمين الأوائل هي النواة الأولى للمدارس الابتدائية، حيث تهتم بتعليم أساسيات القراءة والكتابة واللغة، وحفظ القرآن الكريم وبعض العلوم والمعارف الأساسية. الدراسة في الكتاتيب كانت تعد الفرد إعداداً علمياً في شتى المجالات حتى يتمكن من الالتحاق بالمسجد ومواصلة التعليم به،

فالتلميذ الذي يظهر نجاحاً في الكتاتيب ويريد مواصلة دراسته يستطيع أن يتحول إلى حلقات المسجد لمتابعة دراسته به. وعلى الرغم من كون الكتاتيب مخصصة للصغار إلا أنها كانت تستقبل بعض الدارسين الكبار الذين لم يتعلموا في صغرهم (يونس، ٢٠١٧).

**الزوايا:**

الزوايا هي من ضمن المراكز التعليمية التي قامت بإسهامات عظيمة في نشر العلم بين المسلمين وبخاصة بين الكبار في صدر الإسلام، وهي لا تختلف عن المساجد الا بوجود مساكن للمتعلمين والطلبة فيها، فهي تقدم ما يُقدم في المساجد من علوم دينية وثقافية (العبادي، ١٩٧٩). يذكر الجيلاني (١٩٩٨) أن كلمة "زاوية" هي مستمدة من الفعل "انزوى"، أي اتخذ مكاناً معزولاً ليتجنب مخالطة الناس من أجل حفظ القرآن والاستزادة من العلم، وقد كانت الزوايا في بداياتها مجرد غرف صغيرة ملاصقة للمسجد، ثم تطورت وظيفة الزوايا فيما بعد وأصبحت مباني كبيرة مستقلة تضم مساكن للعلماء ولطالبي العلم وأصبح يمارس فيها العديد من الأدوار من تعليم وضيافة وتصوف وعبادة، وأماكن لنسخ القرآن الكريم والمخطوطات العربية، كما أصبحت مراكزاً لإعداد الكبار اعداداً جيداً في الجوانب العلمية والدينية والخلقية.

**منازل العلماء:**

لقد كانت بيوت العلماء من مؤسسات التعليم المهمة والتي يرجع لها الكثير من الفضل في تعليم البالغين منذ بداية الإسلام، حتى أن بعض هذه المنازل كانت النواة لجميع مراكز تعليم الكبار في البلاد الإسلامية (أحمد، ٢٠١٢). وقد كان منزل الرسول صلى الله عليه وسلم هو أول منزل قام بمثل هذا الدور، فقد ضم أعظم رجال المسلمين الذين صدقوا بالرسالة وأصبحوا فيما بعد من قادة الجيوش وساسة الدولة، ثم اتخذوا من بعده دار الأرقم بن أبي الأرقم بسبب كثرة الوافدين على بيت الرسول صلى الله عليه وسلم (الحلي، ١٩٨١). يشير العبادي (١٩٧٩) أنه قد اتخذ المسلمون الكثير من المنازل لتلقي العلم، مثل منزل عبد الله بن مسعود، والامام أحمد بن حنبل

ومنزل ابن زيتون، وكان يتم في هذه البيوت استقبال من يريد الدخول في الإسلام، كما كانت تتلى فيها آيات القرآن الكريم، ويتم فيها تعليم مبادئ الدين الجديد.

**مجالس الخلفاء:**

عرف المسلمون هذه المجالس في عهد الخلفاء الراشدين، حيث كانت تعقد بصورة منتظمة ودائمة في فناء المساجد، فكان يجلس أمير المؤمنين ويلتف حوله الناس الذين يأتون لهذه المجالس من مختلف البلدان، وكانوا يناقشون العديد من القضايا والموضوعات المختلفة، حيث كانت تطرح فيها العديد من الأسئلة والاستفسارات المختلفة ثم يتم مناقشتها والاجابة عليها. كانت تتصف هذه المجالس بالبساطة الخالية من التكلف والتعقيد والشكليات، كما اتصفت بالحرية في الانضمام للدروس والانصراف عنها واختيار المكان الذي يجلس فيه الدارس (يونس، ٢٠١٧).

**البيمارستانات:**

عُرفت البيمارستانات في عهد الوليد بن عبد الملك في عصر الأمويين، ويرجع الفضل إلى البيمارستانات في حماية أبناء المسلمين من أخطار الجهل والأمية، وحمايتهم من الأمراض التي تصيبهم. البيمارستان هو مكان للعلاج والتمريض، إلا انه كان أيضاً مركزاً للتعلم ومكاناً لتعليم طلاب الطب الأمراض وطرق علاجها والوقاية منها، وكان أيضاً مقراً للدراسة النظرية والعملية والأدبية العامة منها والتخصصية، حيث ألحق بالكثير من البيمارستانات في العصر الأموي مكتبات يتوفر فيها الكتب الطبية، فقد أشار أحمد (٢٠١٢) إلى أنه قد بلغ عدد الكتب في بيمارستان قلاون بالقاهرة ما يزيد عن مائة ألف مجلد طبي.

## معلمو الكبار في الإسلام:

إن الايمان بأهمية المعلم أحد المبادئ والمسلمات التي تقوم عليها التربية في جميع الحضارات. ولقد اعتنى العرب في صدر الإسلام بالمعلمين عناية كبرى، واهتموا بأن يتم تلقي العلم عن طريق

معلم بدلاً من الكتب وحدها، ولم يكن المعلمون في بداية عهد الإسلام خاضعين للحكومة، بل كانوا يؤدون عملهم طلباً للثواب، ثم بدأ تعيين المعلمين بعد إنشاء معاهد التدريس، ونظم لهم أجوراً مناسبة (عبد الدائم، ١٩٨٤).

**اعداد معلم الكبار:**

لم يكن التعليم في بداية الإسلام من واجبات فئة مخصصة من الناس، ولم يكن هناك إعداد مهني خاص بالمعلم، بل كان يقوم به من يرى نفسه مؤهل لذلك ولديه الرغبة والاستعداد للتعليم (التل وشعراوي، ٢٠٠٧).

لقد كان المعلمون في الإسلام ثلاثة طوائف: معلمي الكتاتيب، والمؤدبين، والمعلمين بالمساجد. أما معلمي الكتاتيب فقد كانوا الأقل علماً وثقافة، يقومون بتعليم الصبيان القراءة والكتابة وبعض آيات من القرآن الكريم. بينما المؤدبون هم معلمو الخاصة من القوم، فيقومون بتعليم وتأديب أبناء الخلفاء والوزراء والعظماء، وكان المؤدبون لهم مكانة عظيمة وهيبة وإجلال نظراً لما يتمتعون به من غزارة العلم، وكان من بين أسماء المؤدبين التي لمعت في التاريخ العربي الضحاك بن مزاحم مؤدب أولاد عبد الملك بن مروان. أما المعلمون في المساجد فقد نالوا الكثير من التقدير والاجلال (الغامدي، ١٤١٣). وعند الحديث عن اعداد المعلمين ومنحهم الاجازات للتدريس، من الجدير بالذكر أن هذه الاجازات لم تعرف في العهد الأول للإسلام، لكنه كان يتم تعيين من عرف عنه الصلاح والورع وحفظ القرآن وعلومه، وذلك لأن التدريس في ذلك العهد كان عملاً تطوعياً بلا أجر. أما منذ العصر الأموي فكان يعطى للمعلم المجتاز إجازة علمية تؤهله للتدريس، غير أنه كان للحديث وروايته عناية خاصة عند المسلمين، فلم يكن جميع المدرسين في ذلك الوقت يجرؤون على رواية الحديث كما يجرؤون على تدريس المواد الأخرى، وذلك لأن

المحدثون يعطون طلابهم الذين أخذوا عنهم الحديث شهادة بما رووا عنهم من أحاديث ويجيزون لهم روايتهم عنها (عبد الدائم، ١٩٨٤).

**صفات معلم الكبار:**

لقد اشترط المسلمون فيمن يقوم بمهمة تعليم الكبار العديد من الصفات مثل غزارة العلم وسلامة الجسم والعدل والحلم وصدق العقيدة. وقد أورد الجيلاني (١٩٩٨) جملة من الصفات الجسمية والعقلية والخلقية التي يجب مراعاتها في معلم الكبار في ذلك العصر:

- أن يكون صحيح العقيدة، مؤمناً بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وأن يكون عالماً بأحكام الدين.
- أن يكون سليماً من الأمراض الجسدية كضعف النظر أو السمع، أو العيب في النطق.
- المعلم يحتاج أن يكون واسع الاطلاع الدائم، قادراً على اعداد وتحضير الدروس بشكل مستمر، لديه خبرة وميل للتدريس، ومستعد للمداومة على الاطلاع.
- جيد المزاج مطمئن النفس.
- سليم الذاكرة، صحيح التفكير، قوي الحدس، ذكي لا يتعبه طلب العلم.
- يتحلى بالأخلاق الفاضلة من صدق وحلم وتسامح ولين.

**صفات تعليم الكبار في الإسلام:**

- **مراعاة الفروق الفردية:**

إن من أهم ما يستحق الاعجاب في أساليب التعليم هو أن المسلمون المربون قد أدركوا منذ زمن النبوة بحقيقة وجود الفروق الفردية بين المتعلمين من حيث القدرات العقلية والميول الشخصية، والاستعدادات الفطرية، فبعض المتعلمين يكونون على مستوي عال من الذكاء بينما البعض الآخر في مستوى متوسط. وإيماناً بوجود هذه الفروق كان النبي صلي الله عليه وسلم

يوصي أصحابه بضرورة مراعاة هذه الفروق بقوله "خاطبوا الناس على قدر عقولهم" رواه البخاري، وفي مسلم عن ابن مسعود قال " ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة"، يشير الجيلاني (١٩٩٨) أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد استخدم عبارة "إلا كان لبعضهم فتنة" ليؤكد على ضرورة مراعاة الفروق الفردية حتى لا يُفهم العلم بمفهوم آخر فتقع الفتنة.

- **مراعاة حال المتعلمين وميولهم:**

إن المتتبع لتاريخ التعليم في الحضارة الإسلامية يجد أن المعلمين قد أعطوا الحرية التامة لطلابهم مراعاة لأحوالهم، سواء كان ذلك في المساجد آو الكتاتيب أو الزوايا أو الرباطات أو غيرها من المراكز التعليمية. ويتمثل ذلك في اختيار المتعلم للمعلم الذي يرغب في الدراسة على يديه، وفي اختيار الوقت الذي يتناسب مع ظروفه. كما اهتم المربون في ذلك الوقت بمراعاة الميول والاتجاهات للمتعلمين، يقول ابن باجه " لا ينبغي للمعلم أن يزيد متعلمه على فهم كتابه الذي أكب على التعلم فيه بحسب طاقته وعلى نسبة قبوله للتعلم" (الأبراشي، ١٩٦٩، ١٦٨).

- **استخدام الثواب والعقاب:**

لقد اهتم المربون المسلمون في العصور الأولى بأمر الثواب والعقاب للمتعلمين، فكان من أنواع الثواب المديح والتشجيع، والمكافآت المادية، وهذا ما يستحقه المتعلم نظير تفوقه، وكان من مظاهر التكريم أن يحمل المتعلم على حصان أو بعير، ويسير في شوارع المدينة لتحيته وتكريمه. أما إذا استحق المتعلم العقوبة، فرأى البعض أنه لابد من إيقاع العقوبة التي قد تبدأ بالإنذار فالتوبيخ فالتشهير فالضرب الخفيف (الغامدي، ٢٠١٩).

**الخاتمة:**

بالرجوع للتراث العربي الإسلامي، وعند تتبع تاريخ تعليم الكبار وتطوره خلال العصور الإسلامية المختلفة، نجد أن كل الآراء والنظريات والأفكار والدعوات التي ينادي بها الغرب، انما هي نظريات نابعة من الفكر الإسلامي في عصوره المجيدة. فقد اعتمد الرسول صلى الله عليه وسلم على الكبار في نشر الإسلام وتعاليمه، فعلمهم ولقنهم مبادئ الإسلام وكافة العلوم الدينية والدنيوية حتى غيروا وجه التاريخ وأنقذوا العالم من الجهل والأمية الي نور الايمان والعلم والمعرفة في ظل عدد من العوامل التي يتصدرها الاهتمام بتعليم الكبار.

## قائمة المراجع:

### المراجع العربية:


١. الابراشي، محمد عطية. (١٩٦٩). التربية الإسلامية وفلاسفتها. القاهرة، مصر: دار الفكر العربي.
٢. أبو جبلة، عامر جادالله موسى، والدوري، عبد العزيز. (١٩٨٧). تاريخ التربية والتعليم في صدر الإسلام (رسالة ماجستير غير منشورة). الجامعة الاردنية، عمان.
٣. التل، وائل وشعراوي، أحمد. (٢٠٠٧). أصول التربية التاريخية. عمان، الأردن: دار الحامد.
٤. أحمد، الزين عوض صالح. (٢٠١٢). الخدمات التعليمية والصحية في دولة الإسلام الأولى .مجلة جامعة كسلا: جامعة كسلا، ع١، ٥- ٢٦.
٥. الجيلاني، بشير جبريل. (١٩٩٨). تعليم الكبار في ظل الحضارة الإسلامية. ليبيا: إدارة المطبوعات والنشر بجامعة الفاتح.
٦. الحلي، أحمد حقي. (١٩٨١). تعليم الكبار في التراث العربي الإسلامي .تعليم الجماهير: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم -إدارة التربية، س، ٨ ع ٢٠، ٣٦- ٧٠.
٧. الحميدي، عبد الرحمن بن سعد. (١٤١٥). أصول تعليم الكبار التاريخية-الاجتماعية-الاقتصادية. ط١، الرياض، السعودية: ردمك
٨. خريط، عزيزة جبريل. (٢٠١٤). المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار: صور من التكافل الاجتماعي .مجلة العلوم والدراسات الإنسانية: جامعة بنغازي -كلية الآداب والعلوم بالمرج، ع٤، ١- ٢٦.
٩. الزيدي، كاصد ياسر. (١٩٧٩). محفزات محو الأمية في عصر صدر الإسلام .آداب الرافدين: جامعة الموصل -كلية الآداب، ع١٠، ٨٦- ١٥٦.
١٠. آل سعود، تركي بن فهد بن عبد الله بن عبد الرحمن. (٢٠١٠). وثيقة يهود خيبر: دراسة تاريخية .الدارة: دارة الملك عبد العزيز، مج 36، ع ٤، ٩- ٤٤.
١١. آل سعود، سعود بن سلمان. والشدي، عادل. والدريس، خالد. و الضويحي، عبدالعزيز. و أبو حيمد، تيسير. ( ٢٠١٨). النظام السياسي في الإسلام. ط٢٢، الرياض، السعودية: مدار الوطن.
١٢. السفياني، صالحة بنت حاي بن يحيى. (٢٠٠٩). نظام التعليم في المساجد في القرن الأول الهجري .مجلة التربية: جامعة الأزهر -كلية التربية، ع ١٤٣، ج ٢ ، ٣٥٣ -٣٨٩.
١٣. السنبل، عبد العزيز بن عبد الله. ( ١٩٨٩). مفهوم تعليم الكبار في إطار التعليم المستمر. تعليم الجماهير، ١٦(٣)، ١٢٣-١٥٤.
١٤. الصغير، حميد. ( ٢٠١٥). التعامل النبوي مع أصحاب المذاهب المنحرفة والضالة من خلال وقائع السيرة النبوية. نسخة الكترونية.
١٥. العبادي، عيد ضيف. (١٩٧٩). المؤسسات التربوية في الصدر الأول للإسلام .مجلة التربية: اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم، ع ٣٦، ٤٦ -٤٧.
١٦. عبد الدائم، عبد الله. ( ١٩٨٤). التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين. ط٥. بيروت. لبنان: دار العلم للملايين
١٧. عبيد، أحمد حسن. (١٩٧٦). الإسلام وتعليم الكبار .آراء: المركز الدولي للتعليم الوظيفي للكبار، س، ٦ع، ١٢، ٩٥ -١٠٤.

١٨. العطاس، طالب بن صالح بن حسن. (٢٠١٣). التربية والتعليم في مكة المكرمة في عهد الخلفاء الراشدين . مجلة مركز البحوث والدراسات الإسلامية: جامعة القاهرة -كلية دار العلوم -مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ع ٤٤، ٥٨١-٧٥٠.
١٩. العلياني، سعد بن هاشم. (٢٠٠٩). الدور التربوي للمسجد في صدر الإسلام .مجلة كلية التربية بالزقازيق: جامعة الزقازيق -كلية التربية، ع ٦٥، ٣٩-١٤٤.
٢٠. العمايرة، محمد حسن. (٢٠٠٨). أصول التربية التاريخية والاجتماعية والفلسفية. ط٥، عمان، الأردن: دار المسيرة
٢١. الغامدى، فوزية بنت عثمان عساف. (٢٠١٩). التربية الإسلامية في عصر صدر الإسلام: رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين الأربعة .مجلة كلية التربية: جامعة بنها -كلية التربية، مج٣٠، ع١١٧، ٤٨٣-٥١٢.
٢٢. فراج، عبد الواحد أحمد. (١٩٨٥). التربية والتعليم في الإسلام .رسالة التربية -الإصدار الأول: وزارة التربية والتعليم -دائرة البحوث التربوية، ع ٢، ٤- ١٢.
٢٣. اللهيبي، محمود. (٢٠١٤). العلاقات الإسلامية اليهودية في عصر النبوة (غزوة خيبر انموذجا). مجلة الأستاذ، ٢١١(١)، ١-٣٠
٢٤. مهدي، ياسين سلمان. (١٩٧٩). محو الأمية في فجر الإسلام .تعليم الجماهير: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم -إدارة التربية، س، 6ع ١٤، ٧٤ -٧٦.
٢٥. هندم، هديل خليل. (٢٠١٢). المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار .هدي الإسلام: وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية، مج ٥٦، ع ١، ٧١ -٧٣.
٢٦. يونس، عواطف. (٢٠١٧). تعليم الكبار والتعلم مدى الحياة للجميع بين التراث العربي الإسلامي والثقافة المعاصرة: قراءة في إطار تحولات العصر واحتياجات المجتمع .أبحاث المؤتمر الدولي الأول: قراءة التراث العربي والإسلامي بين الماضي والحاضر، مج٥، مركز تحقيق المخطوطات وكلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٣٩٦ – ٤١٤.